الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن)
كلية التربية – جامعة الملك سعود – الرياض
اللقاء السنوي الثالث عشر

إعداد المعلم في ضوء مستجدات العصر

إعداد
أ . عبد الرحمن بن صالح بن عبد العزيز المشيقح
مدير إدارة الطلابي بالإدارة العامة للتربية والتعليم

إعداد المعلم في ضوء مستجدات العصر

أ . عبد الرحمن بن صالح بن عبد العزيز المشيقح
مدير إدارة الطلابي بالإدارة العامة للتربية والتعليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

يدرك الجميع ما للمعلومة من أهمية ومكانة بين عناصر ومكونات الحياة العامة، فقد دخلت المعلومة دور الاستثمار بل صارت أقوى دعائم الاقتصاد متى وظفت بطريقة فاعلة .

ومصادر بناء المعلومة واكتسابها في عصرنا الراهن متعددة ومتشعبة فلا يمكن حصر مناهلها حيث تتوزع بين قنوات البث الإعلامي ومواقع الإنترنت والصفحات الإلكترونية وغيرها .

وفي نظام التعليم الرسمي كأحد مناهل المعرفة والذي كان سابقا المصدر الرئيس للمعلومة نجد أنه يواجه تحديا ومنافسة غير متكافئة مع بقية المصادر الأخرى الحديثة ، فالطرق والأساليب بينهما متباعدة وعناصر الجذب والتشويق غير متكافئة بل والإمكانيات فيما بين النمطين متفاوتة ، مرجع ذلك كله طبيعة النظام التعليمي وفلسفته وخططه وبرامجه المعتمدة .

إن من أبرز العوامل التي شكلت هذا التباعد بين النمطين موجة التغيير التي هبت على مختلف أرجاء الحياة وغيرت من معالمها

في الماضي كان التغيير محدودا ويمكن للمتابع المتخصص آنذاك رصد مداه وتقدير تأثيره على الحياة الاجتماعية العامة ، بل ويمكن وضع ضوابط لذلك التأثير والتحكم في مؤثراته والتفاعل معها لكن أصبح الآن التغيير أكثر تأثيرا 0

ولعل ميدان التربية والتعليم والثقافة أشد تلك الميادين تأثرا بتيار التغير ، خاصة إذا ربطنا بين حركة التكنولوجيا المتجددة على مختلف الأصعدة الاجتماعية وبين

حركة التعليم البطيئة المتسمة بالرتابة وبطء التغير 0

يقول أحد المفكرين (إن العالم المعاصر يمر بعملية تغير سريع تتميز باطراد التغير وتسارعه ، وعمقه، وتعدد جوانبه، وتراكم تأثيراته وترابطها 0 ولاشك أن هذا التغير المتسارع يطرح آثاره وتداعياته على مختلف جوانب الحياة المادية والروحية للإنسان ، ويثير مشكلة تكيف البشر مع هذه التغيرات ، وقدرتهم على التعامل معها ، وهنا يظهر دور العوامل الثقافية وأدوات التنشئة الاجتماعية ومنها التعليم والمسؤولية الملقاة عليها للعمل على مواجهة هذه الأوضاع المتغيرة 0 لذلك ليس من الغريب أن تتردد في الأدبيات المتعلقة بالتعليم مقولات خاصة بفشل التعليم عن مواكبة التطور العالمي وعدم الاتساق بين مضمون العملية التعليمية واحتياجات المجتمع وضرورة إعادة النظر شكل التعليم ومضمونه بحيث يستجيب للظروف الجديدة)[1] .

من هنا نجد أن خطط ودراسات رجال الفكر والتنظير المعنيين باستشراف مستقبل التعليم تتجه في البدء صوب المدرسة العريقة ومناهجها وأنشطتها الرتيبة سعيا وراء مواكبتها لحاجات المجتمع المتجددة ولمتغيرات التقنية المتتابعة ، وينعتون مناهجها القائمة ببطء الحركة وضعف المواكبة ويرسمون بعض الاقتراحات التي قد تحقق توازنا في المسار 0

إن هؤلاء في دراساتهم وتوجهاتهم لم ينطلقوا من فراغ ، إذ يؤمنون بدور التعليم في بناء الأمة وتأثيره في المجتمع ، ولكنهم يؤكدون بأن هذا التأثير شبه معطل ليس على مستوى المجتمعات النامية فقط ولكن على مستوى كافة المجتمعات الصناعية والنامية على حد سواء ، يؤكد هذا الرأي جموع التقارير الصادرة عن مختلف المجتمعات العالمية[2] .

(إننا نشهد في عصرنا الحالي- وعلى المستوى الدولي - ما يمكن أن نطلق عليه ظاهرة الأزمة التربوية والتي تجتاح معظم دول العالم المتقدمة والنامية على حد سواء . تتجلى هذه الأزمة التربوية من خلال عدم الرضا الذي تبديه الأوساط الاجتماعية المتعددة ، ذلك بسبب عقم الأنظمة التربوية وعجزها عن الاضطلاع بأدوارها المتعلقة بتلبية احتياجات الأفراد 0 والاستجابة لمتطلبات خطط التنمية الوطنية من الكوادر المؤهلة والمدربة بفعل عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية 0 وفشلها في

تحقيق سلام دائم)[3] .

كيف يتم إعداد المعلم العربي للقرن الجديد ؟

نحن كما يؤكد أحد المسؤولين التربويين العرب (محتاجون إلى معلم الألفية الثالثة 00 معلم يتغير دوره تغييرا جذريا من مالك للحقيقة المطلقة 00 من تخريج مؤسسة كانت دائما تهدف إلى تخريج موظفين وعاملين يعملون في إطار نظم جامدة وخطوط طولية Linear Systems يلتزمون بقواعد جامدة ، وقوانين صارمة، ولا يخرجون عن النص والروتين .. إلى مدرسين يقومون بوظيفة رجال أعمال ومديري مشاريع ومحللين للمشاكل ..ووسطاء استراتيجيين بين المدرسة والمجتمع ..)[4] .

وإعداد المعلم للتعليم المستقبلي جزء من منظومة شاملة تستهدف تطويع كافة عناصر العملية التعليمية الأساسية منها والمساند لها للبحث والتطوير والتجديد . ولن يتحقق ذلك إلا بتوفيق من الله أولا ثم بالعزيمة الصادقة والجهد المتواصل الذي لا يقف عند حدّ ، ولا يحول دون تحقيقه عامل الإمكانات والظروف 0

ولعل السرّ في تفوق كثير من الدول والمجتمعات المعاصرة يرجع في الغالب إلى العناية بالتعليم وعناصره والقدرة على علاج قضاياه المتعددة والمتجددة والتي من أبرزها تحديد دور المعلم ، وقبل أن ندخل في مناقشة هذا الموضوع ونحدد محاوره يمكن إثارة هذا السؤال :

كيف هي صور المراجعة القائمة في نظم التعليم في وطننا العربي بالتحديد من أجل بناء المستقبل ؟

لاشك أن الصورة تحتاج لوقفة شاملة تتناول مجمل الأهداف التربوية المرسومة، والخطط المعتمدة ، واللجان المخولة ، والإمكانات المتاحة ، ولكن نقول وبإجمال : إن ربط التعليم العربي بخطط المستقبل ليس بالصورة المأمولة التي تحقق التفوق المرجو في مرحلة قادمة قريبة وحساسة .

في تقرير عن التعليم في العالم العربي ومدى ارتباطه بالقرن الجديد ، وبعد استعراض لتقارير عن تطوير التعليم في كثير من الدول المتقدمة يصف أحد المفكرين

العرب حال التعليم في الوطن العربي وعلاقته بالمستقبل والإعداد له بقوله :

(بالمراجعة الدقيقة التي قمنا بها لكل الوثائق الرسمية في الدول العربية حول أهداف التعليم ، لم نعثر على هدف - إعداد المواطن للمستقبل– كهدف واضح أو صريح ، بل أن كلمة المستقبل لا تكاد توجد على الإطلاق في معظم هذه الوثائق ، وحتى في فحصنا لمضمون المواد التعليمية نادرا ما يرد أي ذكر للمستقبل ، وفي الحالات النادرة والمتفرقة التي ورد فيها أي ذكر للمستقبل فقد ورد بصورة هلامية غير واضحة ، وكان المقصود به [تحسين المستوى الاجتماعي – الاقتصادي] أو مجرد [الإعداد لممارسة عمل على المستوى الفردي]) [5] .

وهنا نتساءل :

كيف يمكن الاهتمام بالمعلم وإعداده للمستقبل ؟

والجواب :

ينبغي أن ندرك بأنه ليس هناك برنامجا أو نموذجا محددا يمكن إتباعه واعتماده طريقا موصلا للغاية في إعداد المعلمين ، ذلك أنه يتوقف على حجم الإمكانات ونظرة المجتمع للتعليم والرغبة الجادة لتطوير بنى التعليم .

على أنه يمكن اتخاذ بعض الخطوات العملية التي تعمل على تغيير وتحسين الأداء للمعلمين من ذلك :

1- الالتزام باستعداد المعلم المسبق لقابلية التدريس :

إذ أن ممارسة التدريس ليست وظيفة تقليدية بقدر ما هي فن ومهارة والتزام ، ذلك أنها مرتبطة بمجموعة من المهارات التي لا يمكن لأي فرد أن يحققها ما لم يكن لديه القابلية والاستعداد المسبق ، فالمعلم يواجه خلال عمله داخل الصف الدراسي جملة من القضايا المختلفة والمواقف المحرجة التي تتطلب سرعة في البديهة وقدرة على المواجهة من أجل تفريغ تلك القضايا وتجاوزها بصورة إيجابية ، وهو مطالب بتحقيق ورعاية مجموعة من القيم والمهارات تكتنف شخصية الناشئ ، وإذا كانت مهمة المعلم خلال العقود الماضية تتسم بالصعوبة والتعقيد ، وكتب عنها جمع من البحوث والدراسات المتعددة فإن الإشكالية والمسؤولية في المستقبل ستتعاظم بحيث تتجاوز المعوقات والصعوبات والمواقف المألوفة إلى أنماط وقضايا جديدة تصنعها طبيعة العصر الجديد .

إن من الواجب أن نهتم وبحرص في قواعد اختيار المعلم ونعتمد على أسلوب المفاضلة

عند القبول أسوة ببعض المهن التي تتطلب المهارة والانتقاء كالطب والهندسة ، بحيث لا يقبل في الكليات التربوية لحظة التقديم سوى من لديه الرغبة والاستعداد للتدريس ، وتحمل مشاق المهنة والتلذذ بمواقفها من خلال اختبارات وروائز تبرز فيها مواقف عملية تقيس مدى قدرة المتقدم لمهنة التعليم على تفريغها .[6]

2- الربط بين الإعداد وحاجة الأمة والعصر :

إنه لكي يكون الإعداد مثمرا لابد أن ينبثق من الحاجة التي ستفرضها متطلبات التعليم المستقبلي ، فليس القياس والمطلب في قوة معلومات المنهج وشموليته وكفاءته الآنية بقدر ما يحددها المخرج المتوقع ، ولتقريب الصورة 0 لنقم بدراسة نقدية لمحتوى أي منهج موجه لإعداد المعلمين القائمة والتي تعد المعلمين للتعليم المستقبلي بعد مرحلة التخرج ونحاول النظر في مفرداته وعلاقاتها بسمات التعليم المستقبلي المنتظر وبالمتلقي القادم الذي لا يربطه بالتعليم الماضي سوى بقايا الانتماء .

فلابد من وقفة تأمل وتحليل واستقصاء نحدد من خلالها جوانب القصور في برامج الإعداد والتدريب القائمة مثلا في كليات التربية وإعداد المعلمين ، وتحديد أسباب عجزها عن الوفاء بمتطلبات التعليم القادم ومحاولة استقراء سمات التعليم المستقبلي ، وعلى ضوء ذلك نرسم برامج التدريب ومحتوى مناهج الكليات التربوية الموجهة لمعلم المستقبل.

ولعل أبرز نقطة تثار في هذا الجانب هي تأهيل المعلم الجديد ليكون قادرا على تحليل المعلومات والبيانات واستقراء مستجدات العمل التربوي والتواصل المستمر مع التدريب الذاتي متى دعت الحاجة لذلك ، والعناية الفائقة بالإعداد المهني بنسبة تفوق في حجمها على التأهيل التخصصي والثقافي .

3 – الاستمرار في مراجعة الأهداف في الكليات التربوية :

من سمات التعليم الناجح ملامسته المباشرة لطبيعة الحياة السائدة ، وقدرته على الوفاء بمتطلباتها ، وعلى مواجهة التحديات التي تفرضها ، وعلى تحقيق الآمال التي ينشدها المجتمع 0

ومدرسة المستقبل - كما تشير إليه الدراسات الاستشرافية - تتطلب نمطا مغايرا من التعليم له أهداف ووظائف تتلاءم مع طبيعة العصر القادم ، لذا لابد من المراجعة التامة والمتواصلة لصيغة وبنية الأهداف التعليمية سواء كانت تلك الأهداف مرتبطة بنمط التعليم العام أو بإعداد المعلم وتأهيله 0 فهل مناهج الكليات المعنية بإعداد المعلمين في عالمنا العربي متجددة ، وقادرة على تأهيل المعلم المتمكن من مناقشة وصياغة المعلومات المكتسبة ، ونقد المنهج ، وعلى الكشف عن الفئات المبدعة بين جموع الطلاب المتعلمين داخل البيئة التعليمية ؟

إن الأهداف المطلوبة في إعداد وتأهيل المعلم ينبغي أن تكون دقيقة ومرنة في آن واحد وقابلة للتطبيق والقياس ، منبثقة من رؤيا واضحة لطبيعة العصر الجديد وقضاياه وهمومه 0

فهل المعلم الذي يتلقى تأهيله الآن في الكليات التربوية يعد لطبيعة التعليم المستقبلي القادم الذي سينقل مهامه من النمط السائد إلى مهام جديدة ، تفرض عليه ثقافة متجددة ، وتحدد له مهام مغايرة ، وأنشطة غير مسبوقة وتطلب منه التكيف مع مواقف غير مألوفة ؟

إن أبرز الأهداف التي ينبغي أن تسعى الكليات التربوية لتحقيقها هي :

- رفع قدرة ومستوى المناهج الموجهة للمعلم وإعدادها إعدادا تربويا بحيث يمكن أن تحقق الكفاءات المهنية المدربة القادرة على الوفاء بالأدوار الوظيفية التي تتطلبها الحياة في المستقبل .

- الاهتمام بتدريب المعلمين على أساليب التعلم والتثقيف الذاتي والتدريب المتواصل خلال فترة الخدمة ، من أجل مواكبتهم التغيير سواء في مجال المناهج أو الأنشطة وذلك لكي يتحقق المستوى الرفيع والدائم لعطاء المعلم مع ضرورة الاستيعاب المتتابع للأهداف المتجددة في مهام العملية التعليمية والتي تولدها الحاجة وتصوغها الأحداث والمتغيرات .

- ترسيخ فكرة أن المعلم لن يكون المصدر الوحيد لاكتساب الخبرات

والمهارات في مدرسة المستقبل بل ستنافسه مصادر أخرى ، وتأهيله عمليا لكي يتفاعل مع تلك المهمة الجديدة المحددة له ، بحيث يستطيع التعامل مع جميع التقنيات المرتبطة بعملية التعلم بأسلوب عملي منتج وبمهارة محكمة ، مع تأكيد أن المعلم لابد أن يتأثر بالمتغيرات التي ستنال العملية التعليمية فلابد من تأهيله لكي يكون تفاعله إيجابيا يخدم طموحاته وعلاقاته بالمتلقي وقدراته على النقد .

- إحداث منهج في الكليات التربوية يعنى بدراسات المستقبل واستشرافه والنظر في متغيراته 0 وتدريب الدارسين عمليا على مناقشة واستنباط الصور المأمولة في تطوير مسار التعليم فنحن محتاجون (لمعلمين لديهم قرون استشعار تتحسس التغير في كل مكان وتكتشف الفرص والإمكانات في كل ميدان ، ولديهم القدرة والبصيرة على استشراف المستقبل وتوقع تطوراته واحتمالاته)[7]

- لابد أن يكون المعلم مجيدا لأكثر من لغة عالمية تحقق له فرصة الإطلاع على مستجدات الثقافة التربوية ، ومتمكنا من التعامل مع أجهزة الكمبيوتر والأجهزة التقنية الحديثة التي يتعامل معها داخل قاعات الدروس النظرية والعملية .

- لكون القيم والمبادئ والرواسخ الاجتماعية – والتي تشكل هوية الأمة- من الأمور التي ستتعرض لتيار التغيير المستقبلي بسبب سيادة العولمة ومشاعية المعرفة والانفتاح الثقافي العالمي الذي لا حدود له لابد من تأهيل المعلم وإعداده ليكون خط دفاع صلب ضد القيم الزائفة وعاملا إيجابيا في تعميق العقيدة السليمة والمثل والمبادئ الاجتماعية الوطنية الحميدة في عقلية المتلقي وذلك من خلال أسلوب الحوار الإيجابي الهادف والقناعة الذاتية التي لا تقوم على القسر والإملاء .

- مبدأ التميز لجميع المتعلمين قاطبة - خلال عملية التعلم - مطلب ضروري ينبغي تأهيل المعلم على تحقيقه والالتزام به والتفاعل معه ، فلم يعد الهدف مجرد توصيل المعلومة لعقلية المتلقي 0 بل لابد من نقد المعلومة المكتسبة والإضافة إليها ، وبناء مشروع عملي يرسخ الأفكار المكتسبة ويحول دون سلبية الطالب لحظة التلقي .

4- التدريب المستمر للمعلم مع كل حالة تغيير :

التدريب أثناء الخدمة يهدف في برامجه باختصار إلى :

- إعادة تأهيل الموظف ومعالجة جوانب النقص والخلل في الأداء .
- التعديل في السلوك وتجديد العطاء والتفريغ للخمول والتبلد .
- التأهيل للتفاعل مع برنامج محدث والتعريف بمفاهيم جديدة تم تضمينها في المنهج الدراسي 0 أي إعداده لمواجهة التغيير .

والتدريب أثناء الخدمة قد يكون موجها لفرد مخصص أو لجماعة محددة حسب طبيعة البرنامج المقترح ومجاله والظروف والإمكانات .

ستشهد السنوات القليلة القادمة بمشيئة الله والتي تمثل مستهل القرن الحالي الجديد جهودا مكثفة في مجال التدريب ، تتبناها مؤسسات خاصة ، متعهدة في هذا الأمر ، أو تنفذها القطاعات العامة ومراكز الدراسات الاستشارية من خلال الاستعانة بتلك المؤسسات ، أو من خلال المعاهد والمراكز الملحقة بالقطاعات العامة المعنية بالتدريب .

إن التدريب المتواصل أثناء الخدمة سيصبح ضرورة ماسة في العمل التربوي المستقبلي خاصة ، يفرض ذلك الحاجة الملحة إليه والسهولة المتوقعة في تنفيذ برامجه ومكوناته نتيجة تطور وسائل تنفيذه . والتعليم ليس معزولا عن نشاط الحركة الفكرية والاجتماعية ، كما أنه من أشدّ المجالات الوظيفية حاجة لذلك بحكم المهام التي يؤديها والأنشطة التي يمارسها ، ويتوقف نجاح برامج التدريب التربوي المختار على مدى قدرته على استخدام وتوظيف منتجات الصناعات الثقافية بأسلوب عملي وتربوي منتج ، وعلى قناعة المتدربين بضرورته ، وعلى جدية ومستوى عطاء المدربين قبل وأثناء التدريب ، وطبيعة البرامج المقترحة في التدريب وأهدافها وترابط موضوعاتها وارتباطها بالواقع .

إن التدريب المستقبلي الفاعل أثناء الخدمة سيتسم بقصر المدة والتركيز على مجال محدد ، والتدريب المطلوب في المرحلة القادمة هو ذلك المتسم بوضوح الأهداف ، والإعداد الجيد الملامس لعقليات المتدربين ، المؤثر على مشاعرهم ، القادر على نمو مهاراتهم وزيادة خبراتهم ، ويمكن التأكد من تحقق ذلك من خلال التقويم المتواصل

أثناء أو بعد فترة التطبيق العملي من خلال قياس الفرق بين مستوى الأداء قبل وبعد التدريب بين جمع المتدربين 0

على أنه ينبغي أن ندرك بأن التدريب المثمر هو الذي يتجاوز في أهدافه وبرامجه مهمة تحسين الأداء إلى محاولة الوصول بالعمل للحدود القصوى من الاستيعاب والتطبيق العملي .

5- إدخال مادة بحث تعين على حل المشكلات المستقبلية 0
مهنة التعليم ككل المهن لها مواقفها ومشاكلها التي تعترض المعلم وخاصة المستجد منها داخل الصف ، وتتطلب الحلول المتزنة التي تحول دون تفاقمها .

والعصر الجديد له خصائصه التي تفرز نماذج مغايرة من المشاكل الصفية والمدرسية عامة مما تستدعي رجال التربية والتعليم أن يعملوا على استقراء المشاكل المتوقعة ويرسموا لها الحلول ويجعلوها مادة بحث معتمدة تؤهل الدارسين مسبقا لاستقبال وتفريغ مثل تلك القضايا بقدرة وبكفاءة 0على أن يراعى في رسم الحلول تحديد الأهداف ووضوحها ، تعدد نماذج الحلول المقترحة وتوضيح خصائص كل نموذج فيها ، التأهيل على الاختيار بين البدائل المقترحة في الدراسة 0

6- إشراك المعلم في صنع القرار التربوي :
إن إشراك المعلم في صنع القرار التربوي يحقق عدة خصائص إيجابية تساعد على نجاح القرار المرسوم ، فالمعلم - كما سبق إيضاحه – له أثره في صياغة العملية التعليمية من خلال مراحل التنظير 0 والتنفيذ 0 والتحليل 0 والتقويم ، وكل تهميش لدوره في هذه المراحل قد يكون سببا في الفشل وانتكاسة في النتائج المأمولة للعملية التعليمية المرسومة 0

تقول إحدى الدراسات (إن السلبية التي هي من معوقات التغيير لا توجد فقط في أوساط الناس الخاضعين لإدارة ما 0 فالمدرسون ومديرو المدارس ، وحتى الإداريون بدوام كامل الذين يعملون لوزارة التربية قادرون حسب (مونتغمري) على تقديم مقاومة سلبية لمشروع الإصلاح ، وبذلك يسببون فشله إذا ظنوا أن مصالحهم الخاصة مهددة به 000 الصف بالنسبة للمعلم ليس عالما مغلقا ، يكون دوره مقصورا على إيصال المعرفة

والرسالة إلى التلاميذ ، بغض النظر عن غزارتها 0 فالمعلم منهمك بالطريقة التي يعمل بها مجمل النظام التربوي ، فهو يشترك في مصيره وينبغي إن يشارك فيه حتى إذا كان ذلك يعني الاحتجاج ضده ، فيجب أن يكون مطلعا عليه)[8] .

فالثقة الإيجابية في المعلم المتمثلة في إشراكه فعليا في الخطة وصنع القرار المرتبط بمهمته جزء من الإيمان بدوره الفاعل المتجاوز للأساليب التقليدية التي كبلت النظام التعليمي بقيود النمطية والابتذال ، ورسمت صورة باهتة لمكانة المعلم وقيمته في الوظائف الرسمية داخل المجتمع .

- صياغة مرجعية دقيقة لاختيار المعلم وتقييم أدائه :

من الملاحظات والانتقادات الموجهة إلى مهنة التعليم غياب القواعد التنظيمية المحددة عند اختيار المعلم الجديد والمواصفات المعتبرة في ذلك ، وفي تقييم أداء المعلم بعد التحاقه بالعمل وممارسته للمهام ، فغالبا ما تخضع العملية لاجتهادات ذاتية من المشرف المباشر لمهمة الاختيار والتقييم ، توجهها العاطفة وغياب الأسس التقديرية القائمة على طبيعة المهنة ، ونوع المرحلة التعليمية ، وسمات الشخصية المطلوبة الجسمية والخلقية ، والمهام المتجددة في العمل التربوي . ولعل الاتفاق بين رجال الفكر التربوي حول صياغة معتمدة وتبني قواعد عامة لسمات المعلم الكفء جزء من تطوير أداء المعلم بحيث يمكن الالتزام بها وتفعيل قواعد تلك المواصفات .

- تفعيل فكرة السنة التمهيدية للمعلم 0

تنص القواعد التنظيمية لتوظيف المعلم على خضوعه لفترة تجربة مدتها عام دراسي بحيث يتم قياس مدى قدرته على العطاء والتجديد 0

في هذه الفترة ينبغي أن يخضع المعلم لبرنامج تقييم شامل يركز على المهارات الثلاث المعرفية ، والتخصصية ، والتربوية. وبعد نهاية التقييم إما أن يثبت على وظيفته التعليمية ، أو يلحق بدورة تدريبية ، أو يعفى من الاستمرار في مهنة التدريس . وينبغي خلال هذه الفترة تكثيف زيارة المعلم وتوجيهه وإتاحة الفرصة له بزيارة بعض المعلمين المتميزين في مدرسته للاطلاع على خبراتهم وتجاربهم الميدانية وإلزامه بتدوين تقارير شاملة عن أبرز المكتسبات التي حققها من تلك الزيارات 0

الشيء الأكيد أن المعلم - وحسب مرئيات خبراء التربية المعتدلين - لن يفقد دوره بالمشاركة في العملية التعليمية في المستقبل المنظور على الأقل ، ولكن هذا الدور لن يبقى على صورته الراهنة المألوفة لدينا بل سيناله صبغة التغيير ، مما يتطلب ضرورة المبادرة في إعداده للمهمة الجديدة .

يقول أحد التربويين مصورا ضرورة المراجعة الشاملة للنظم التربوية المعاصرة (لقد حلت الآن لحظة الحقيقة بالنسبة للنظم التربوية العالمية لأن تراجع نفسها في ما فعلته وما لم تفعله بهذا القرن الموشك على الانصرام ، وما ينبغي عليها حمله من مسؤوليات اجتماعية وأخلاقية في القرن الحالي . وليست التربية العربية معصومة من هذه المساءلة ، إن لم تكن أكثر من سواها واجبة المساءلة عن قصوراتها أو تقصيراتها خلال القرن العشرين 0) [9] .

عندما وظفت الآلة في عصر الثورة الصناعية الثانية كانت المهام التي قامت بها وبشكل واسع تنحصر في الأعمال الشاقة ، وتلك المتسمة بالخطورة أو الرتابة ، وما يتطلب الجهد العضلي داخل المصانع الكبيرة المتعددة والحديثة ، حتى إن الإنسان خاف من هذه المنافسة الحادة غير المتكافئة التي قد تقلب الموازين ، وقامت المظاهرات والاحتجاجات من المجتمع المهني بكل فئاته على ذلك التحول ، وكان التوقع أن ترتفع نسبة البطالة بين العاملين نتيجة التوسع في توظيف الآلة .

وفي العقود القادمة تتجه الابتكارات نحو تنمية الآلات والأجهزة التي تعنى بالأعمال المرتبطة بالجهد العقلي والتي قد تفوق في وسرعتها ودقة نتائجها جهد وإنتاج الإنسان العادي ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فبعض النماذج التي يقوم بها الروبوت الآن والتي تعتبر من المهام الأولية تجسم هذا الأمر – الروبوت ينظم القصائد الشعرية الموزونة والمقفاه والتي كانت فخرا وميزة لبعض الشخصيات الإبداعية التاريخية ويرسم اللوحات الفنية الجميلة ويقوم بحل المسائل الرياضية البالغة التعقيد التي كانت تستهلك الجهد والوقت ولا ينفذها سوى أشخاص متميزين ، والصورة في تصاعد واتساع ، يزيد من تفوقها وتغلغلها انخفاض الثمن وصغر الحجم واتساع دائرة الخدمات والمهام .

(في القرن الحادي والعشرين سيكون خمس السكان العاملين فحسب كافيا للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي 0ولن تكون ثمة حاجة إلى أيد عاملة تزيد عن هذا القدر الكافي لإنتاج جميع السلع .. سيكون الخمس وحدهم القادرين على العثور على أعمال تمكنهم أجورها من سد احتياجاتهم أما الباقون وهم ثمانون في المائة يشكلون الطبقة العريضة الدنيا من المجتمع الجديد . فسيكونون فائضين عن الحاجة ، يواجهون المصاعب الجمة والمشكلات المتفاقمة ، وما من سبيل أمامهم إلى العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات وأعمال البر)[10] .

ووظيفة المعلم لن تكون هي الأخرى بمعزل عن هذه المنافسة والاختراق فالألعاب الإلكترونية والميكرو كمبيوتر والحقائب التعليمية الموصولة بالإلكترونيات التي تمثل المعلم الآلي ، وانتشار بنوك المعلومات التي تقلل من قيمة الحفظ وتتجه بالمتلقي نحو التحليل والابتكار ، واختفاء المدرس الخصوصي - الذي يسلب جيوب الآباء ووقت الأبناء ويبعث على الخمول والتبلد وضعف الاستنباط - من خلال الاستعانة بالخطوط الساخنة التي تسهل التداول بين الطلاب وبين المصادر العلمية المتعددة والمجهزة بأحدث أنماط التقنية وغيرها من المنجزات العلمية المرتبطة بمنافسة المعلم تتطلب الوقوف بجدية لتحديد الدور المطلوب للمعلم في ضوء التعليم المستقبلي والذي سينحصر دوره في مهمة الإشراف على تنفيذ عملية التعليم بصورة عملية ، وفي القيام بالأعمال التي تشحن الذهن وتؤهله للإبداع والابتكار وطرح البدائل من خلال التقويم والتفاعل الذي يحد من جمود الآلة .

صورة المعلم في العملية التعليمية في المستقبل

كيف ستكون صورة وتأثير المعلم في التعليم المستقبلي ؟
الجواب :

على المدى البعيد غير المنظور يصعب تحديد الصورة الجلية لدور ومكانة المعلم في مدرسة المستقبل ، ولكن نستشف من الدراسات المطروحة عن مستقبل التعليم أن المعلم - بمشيئة الله - لن يبقى وحسب توقعات خبراء التعليم على مكانته المعهودة المسيطرة أحادية القطب ، بل سينافسه مصادر إلكترونية جديدة تستقطب منه بعض المهام التي كان يمارسها بانفراد .

فالمادة العلمية الجوهرية المقدمة للطالب ستصاغ من قبل خبراء مختصين كل في مجاله وبصفة متجددة ، ووسيلة العرض التي توصل الفكرة إلى ذهن المتلقي قد يكون جهاز كمبيوتر ذي مواصفات خاصة محدد لمهمة العرض والإعادة والتكرار وقت الحاجة والطلب[11] ، حيث يسعى لتحقيق إذابة الفروق الفردية بين جموع المتعلمين ، هذا في حالة وجود مجموعة من الطلبة في مكان واحد .

أما المعلم فهو المشرف والمنفذ والمراقب لمسار الدرس ، لا يتدخل إلا وقت الضرورة على أن هناك آراء متعددة ومتضاربة حول مكانة المعلم في تلك المرحلة القادمة[12] .

في تقرير نشر في إحدى الدوريات العربية عن صورة العالم بعد خمسين عاما يقول التقرير بعد استعراضه لمهام الأجهزة الإلكترونية في العملية التعليمية[13] :

(... وبعد خمسين سنة سيظل أستاذ المدرسة ضرورة ماسة مثله اليوم ، صحيح أن التلميذ سيحمل في حقيبته بدلاً من الكتاب جهاز الكمبيوتر القادر فقط على تعليمه الحساب والفيزياء والكيمياء والهندسة ولكنه عاجز عن تلقينه جودة الكتابة التي يستعين بها في الرد على الأسئلة وتسجيل الأجوبة بالطريقة المفيدة التي ستبقى وقفاً على المدرّس) .

إن إدارة المعلم للصف ليست هي الإدارة التقليدية القائمة على حفظ النظام داخل الصف وبقاء المتلقي مكتوفا مستسلما في مقعده ، والمشاكل التي ستصاحب الطالب في مدرسة المستقبل ليست هي المواقف المألوفة لدى رجال التربية والتعليم بل هي ثمار التغير ونتاج الصراع الفكري وزخ المعلومات ، كل ذلك يتطلب نمطاً جديداً من الإعداد والتأهيل بحيث تتفق سمات المعلم مع الصورة الجديدة لطبيعة وقضايا التعليم 0

منافسة المصادر الأخرى لمهام المعلم

سنعرض وباقتضاب سريع لبعض الآليات والأساليب - خلاف جهد المعلم المألوف – التي ستمرّ من خلالها الفكرة المرسومة إلى عقلية المتلقي المستهدف في العملية التعليمية في المستقبل عبر تغذية راجعة نموذجية.

فالتعليم وحسب رأي أغلب منظري الدراسات المستقبلية سيخرج من الحيز الضيق

المتمثل بالفصل الدراسي التقليدي الخاضع لعدة مؤثرات ومعوقات إلى رحاب أوسع يتمثل في تسخير جمع من القنوات التثقيفية التي تشاطر المعلم في توصيل المعرفة إلى المتلقي .

من أبرز تلك القنوات :
وسائل الاتصال :

حيث يرسم في عالمنا المعاصر صورا متوقعة لمكانة وسائل الإعلام وأجهزة الاتصال في المستقبل المنظور ، بحيث ستتجاوز النمط المألوف لوظائفها القائمة الآن إلى أدوار أكبر تمارس من خلالها السيطرة الشاملة على عقلية المتلقي المستهدف وتكبيله وتسخر أجهزتها المطورة والتي لم يظهر بعض نماذجها بعد لنقل المعرفة إلى المتعلم وهو في منزله وبأساليب مشوقة تتجاوز جهد المعلم التقليدي الممل ويمكن حملها في أي مكان واستعراض برامجها المتجددة حسب رغبة المتلقي ، بل ومحاورتها وعرض وجهات نظر الدارس دون خجل منه أو خوف من العقاب أو تضجر من الجهاز .

ومن الأمور التي تدعو إلى التأمل والمناقشة ورسم الحلول :

ضعف الارتباط وعدم التواصل بين الإعلام والتعليم العربي في الوقت الحاضر والتي تصل أحيانا لحد النقص والتنافر في الخطط والبرامج والأساليب مما أضاف عبئا آخر في إشكالية التعليم .

لقد اهتمت الندوة العربية التي عقدت في القاهرة عام 1997 - لمناقشة الأزمة التي يعاني منها التعليم في الوطن العربي- بهذا الأمر من خلال بعض المحاور التي طرحتها وكانت أوراق الندوة التي نوقشت :

- غياب الفلسفة التعليمية الواضحة وغياب الطابع القومي للتعليم ، وغياب التخطيط العلمي وتأخر النظام التعليمي في مواجهة التغيرات العالمية .
- جزئية الإصلاحات التعليمية دون وجود نظرة شاملة للتطوير .
- عدم التنسيق والتكامل بين التربية المدرسية واللامدرسية " الإعلامية الثقافية " .
- افتقار البرامج التعليمية للوسائط التقنية .

المؤسسات العلمية العامة :

لا يقل جهد تلك المؤسسات عن دور أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال ، حيث سيظهر التنافس الحاد والقوي بين تلك المؤسسات العلمية والمدارس النظامية وسيعمل كل منهما على احتواء الآخر والتغلب عليه ، وستوظف جميع منتجات التكنولوجيا

لخدمة أغراضه وأهدافه 0

ستجعل هذه المراكز العلمية المتخصصة والمنتشرة في مختلف المواقع من التعليم غير الرسمي والذي سيستقطب الجموع الغفيرة من المتعلمين بدافع الرغبة والاختيار هدفا رئيسيا يطغى على وظائف التعليم الرسمي ويفوقه في الإمكانات نتيجة تعدد المهام والوظائف التي يمارسها من تعليم وتدريب أثناء الخدمة إلى تعريف ببعض البرامج والأنشطة العلمية المتتابعة في الظهور .

القنوات الإعلامية :

تأثير القنوات الإعلامية والرسائل الإلكترونية المتخصصة التي تبثها محطات فضائية على نمط التعليم المستقبلي حقيقة واقعة لا جدال حولها ، حيث نلحظ في وقتنا الراهن جانبا ملموسا من ذلك التأثير ، وسيزداد هذا التأثير مع كل لحظة تصنيع وتطوير لمنتجات الثقافة العامة ، هنا يجب أن تكون نظرتنا للتطورات التقنية ولثورة المعرفة واتساعها نظرة إيجابية فاعلة ، مجردة من الخوف ، وممزوجة بالثقة والعمل المخطط المدروس والمتواصل ، واستثمار ذلك بصورة صحيحة ، بحيث نوظف كل هذه الإمكانات لخدمة أمتنا ومجتمعاتنا وناشئتنا خاصة ، ذلك أن هذا التطور المحسوس قد اختصر الزمن والمسافات معا ، وأذاب الفوارق الحضارية قدر الإمكان بين المجتمعات العالمية وأتاح فرصة لأولي العزم في مختلف المجتمعات في التمكن من اللحاق بالركب الحضاري شريطة نبذ الكسل والتسويف وخلع النظارة السوداء القاتمة التي تحول دون التفاعل الإيجابي مع المتغير .

إن القنوات الإعلامية المرئية التي تجوب موجاتها جميع الاتجاهات دون عوائق أو فرض رقابة ، وتتناول برامجها مختلف القضايا الخاصة والعالمية مهما كانت درجة حساسيتها دون تحفظ ، وتسخر كافة الطرق التي تغري بوصول الفكرة المطروحة إلى عقلية المتلقي بسلاسة ومن خلال تغذية راجعة ، وكذا سبل الاتصال المتنوعة والتي لا تقل خطورة في تأثيرها على المتلقي هي بمثابة الند المنافس والمتفوق لمهمة المعلم . والتصرف الحكيم يتمثل في توظيف تلك التقنية ودمجها مع جهد المعلم في إطار التكامل والتنويع مع الإيمان بأهمية الرواسخ من القيم والمعتقدات وضرورة .

أخيرا يجب أن نعي الأمور التالية :

- أن السرعة والتغيير أمور لا تطلب لذاتها ، ذلك أن التغير الاجتماعي السريع وخاصة في مجال تهيئة وتثقيف الناشئة له عواقبه الوخيمة على الأمة حاضرا ومستقبلا.

- ولكي نتحاشى الوقوع في مخاطر التغيير السلبي يجب أن نثير هذه التساؤلات .

أي تغيير ننشد ؟

وأي طريق نسلك ؟

وأي محاذير نتجنبها في خططنا ومشاريعنا ؟

- الزمن لا يرحم الجبناء والمتقاعسين عن الركب ، والخطى تتباعد مع الزمن بين الأمم والمجتمعات ، والبناء القوي يبدأ من القاعدة ، ولدينا جيوش جرارة من الأطفال في طابور الطاعة والانقياد والتعلم ، والمعلم الناجح المتفاني هو المباشر الأول لعملية البناء والتوجيه ، لذا علينا أن نولي المعلم ورسالته الاهتمام والثقة ، ونحرص على تأهيله وفق الأساليب العلمية المتطورة 0ونفرغ كل المعوقات التي تنال من شخصيته ومن تأهيله وتفاعله مع المجتمع المحيط به ، ونحاول إضفاء الثقة على رسالته وشخصيته ومكانته الاجتماعية لا من خلال الإجراءات الشكلية التي أثبت الزمن فشلها وضعف تأثيرها بل من خلال عمق الخطط والقرارات .

- لم تفلح الأمم الصناعية في برامجها التعليمية إلا من خلال المراجعة الدائبة والنقد البناء الصادق والصريح ، الذي لا تعيقه حواجز الرقابة والرتابة والحساسية ، ولا تحول دون خططه المقترحة مشاكل الإمكانات .

- قبل أن ننطلق إلى مستقبل المعلم وتحديد مهامه يجب أن ندرس وبعمق ماهية المستقبل القادم ، ونقدم تصورات افتراضية مبنية على أسس علمية تقوم على تحليل الإحصائي وخبرة التقني وتطلعات عالم الاقتصاد واستقراء عالم الاجتماع ورؤية رجل التربية والتعليم .

- إن النقد الذاتي والتقويم الهادف عنصر بناء فعال ، ظهرت نتائجه الإيجابية مع تقرير (حمى سبوتنك) ومع تقرير (أمة في خطر) ومع جملة من التقارير التي رسمت إطار التعليم في الأمم الغربية والأمم الشرقية الصناعية .

- هل نستطيع أن نحقق الغاية من التربية والتعليم والمتمثل في تنمية المجتمع بكل فئاته ومؤسساته من خلال تطوير بناء التعليم ومناهجه ، وجعله قادرا على تأهيل الفرد ليكون منتجا ومبدعا ومواجها لتحديات العولمة ، مؤثرا لا متأثرا بها ، ومتمكنا من خلق مواقع إنتاج منافسة في المستقبل ؟

0 يجب أن نرسم صورة مكبرة لمستقبل المعلم يتناوب على تحديد معالمها جملة من خبراء التربية والتعليم ، فتخضع للتحوير والتطوير مع كل لحظة تجديد ومع كل قاعدة علمية تمسك بزمام التعلم .

الهوامش

(1) د / سعد الدين إبراهيم وآخرون 0 مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم ، منتدى الفكر العربي 0 عمان ط 1 – 1989 ص 23 .

(2) على سبيل المثال عام 1984 ، شكل رئيس وزراء اليابان المجلس المؤقت للإصلاح التربوي والذي أخذ على عاتقه تقصي الحقائق في ذلك فقام بالدراسات والاستقصاءات الواسعة للإصلاح التربوي وفي نفس العام في الولايات المتحدة الأمريكية قدمت اللجنة القومية للتفوق في التعليم دراستها إلى وزير التربية في تقريرها الأكثر شهرة والمعنون (أمة معرضة للخطر) وكذا في فرنسا وبريطانيا والصين وكوريا ، مما يعني عدم رضا لجان التخطيط في تلك الدول عن مستوى التعليم في مدارس ناشئتها بمختلف المراحل ،

(3) تطور التربية في الصين - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ط 1 - 1408 ص10 .

(4) د/ حسين كامل بهاء الدين ، الوطنية في عالم بلا هوية ، تحديات العولمة ، دار المعارف بمصر ص 128.

(5) تعليم الأمة العربية في القرن 21 –تقرير –منتدى الفكر العربي يناير 1991 ص 65- 66 .

(6) تتبنى وزارة المعارف في المملكة مشروعا يعنى بالكفايات الأساسية لأداء المعلمين 0ويقوم المشروع على شكل اختبار تقييمي يخضع له المعلم الجديد ومن هو في الميدان 0ويقيس الاختبار المهارات الأساسية في العد والقراءة والتخصص والمهارات التربوية 0 وسيدخل المشروع حيز التطبيق العملي خلال السنوات القليلة القادمة بمشيئة الله بعد انتهاء مرحلة التجريب 0

(7) د/ حسين كامل بهاء الدين.0 الوطنية في عالم بلا هوية دار المعارف بمصر ص 130

(8) البنى الرسمية والمشاركة الوحدة الثانية 0 إعداد قسم السياسة التربوية والتخطيط 0 اليونسكو 0 نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج 1996 ص 84 .

(9) حمد جواد رضا – التربية والقرن العشرين – مجلة المستقبل العربي عدد 230 – 4/ 1998 ص 60– مركز دراسات الوحدة العربية .

(10) حسين أحمد أمين ، من يحكم العالم في القرن الحادي والعشرين ، مجلة الهلال عدد يناير 2001 .

(11) على سبيل المثال نشرت مجلة المعلوماتي في عددها (92) يونيو 2000 مقالا عن كتاب الغد الإلكتروني جاء فيه (فريبا سيكون بإمكاننا تصفح مئات الصفحات والكتابة على هوامشها كما لو أننا نتعامل مع الكتب التقليدية 0لا بل ستكون هنالك إمكانية لتكبير أحرف سطورها ومشاهدة لقطات متحركة عبر صفحاتها وتغيير محتواها وفق الرغبة من خلال تحميل بعض النصوص عبر شبكة الأنترنيت 0 سيكون هذا الكتاب الإلكتروني متوفرا في غضون عامين أو خمسة أعوام 0 كما تناول القلم والحبر والغلاف الإلكتروني .

(12) صورة المدرسة في المستقبل 0 للمؤلف شركة الرياض للنشر والتوزيع 1998 .

(13) ندوة الوطن العربي للقرن الحادي والعشرين في ظل ثورة المعلومات، مؤتمر القاهرة الإعلامي، من كتاب الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة ، علي محمود العائدي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجي ص 98 .